

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 08 (2010): 397 – 410
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

نحو تكوين نوعي وجامعة رسالية

شول بن شهرة[1] و ماجدة مدوخ[2]
1 ـقسم الحقوق المركز الجامعي لغرداية
2 ـقسم العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير المركز الجامعي لغرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

مقدمة:

انطلاقا من كون الجامعة تعد مخبرا للحضارة ومركزا للتمدن ومستودعا للتنمية، فإن ذلك تناله من كونها حجز الزاوية في المسيرة التطورية للمجتمعات الواعية، بفعل ما يتطعم ويتغذى به المجتمع بكافة هياكله ومؤسساته من مخرجاتها، ثم من الإدراك أن الوعي والمعرفة يمثلان أهم رأسمال في عالم اليوم وهو ما يعطي بدوره للجامعة الدور المركزي ويؤكد الأهمية ا ورية لعامل التكوين فيها الذي هو مرتكز النهضة فبه تتحدد أي مكانة ستكتسبها بلادنا في المنظومة الدولية ضمن النسق التكنولوجي ،المعرفي ،ا قت ادي وا جتماعي ولذى أردنا أن نبرز من خلال هذه المداخلة مدى ارتباط عملية التكوين برسالة الجامعة، وفضلنا أن نناقش الموضوع وفقا لعنا ر ثلاث :

- **علاقة التكوين برسالة الجامعة**
- **إسهام ا ستاذ في العملية التكوينية**
- **دور الحركة الطلابية في دعم مستوى التكوين**

يتدرج كل عن ر إلى عناوين جزئية مف لة ضمن العرض التالي:

أو = علاقة التكوين برسالة الجامعة:

يرتبط التكوين بأهمية تقييم أداءان الجامعة إيمانا بالدور المتميز للجامعة وخ و ية فعاليتها في عملية النهضة اعتبارا لعامل التفاعل بينها وبين محيطها، وارتباط واقع تطور المجتمع ونماء محيطها بالعملية التعليمية التربوية أساسا مما يعني باخت ار أن تقييم ا داء هو بالضرورة تطوير التكوين بتعزيز نقاط القوة فيه واستدراك أي نقص من خلال الممارسة وهو أمر ليس من السهل لكن بد منه، ويكفي مبدئيا عند التطرق لرسالة الجامعة أن نقيس أو نركز على ما تحققه من أهداف مسطرة لها وما تأدية من وظائف، وإذا كانت الأهداف توضع وتتحدد وفقا للقائمين على القطاع والأو ياء عليه فإن وظائف الجامعة تكاد تستقر لدى الكل وتح ر وظائفها في ثلاث نقاط رئيسية – يتشكل بها دورها كمؤسسة ريادية قيادية لمجتمع ينزع إلى التطور والرقيّ – وهذه الوظائف هي تبعا :التعليم – البحث العلمي – الخدمة العامة، وإذ تعد الوظيفة الثالثة حديثة نسبيا حيث تنتهي مهام الوظيفتين

الأوليتين في التلقين وا ستكشاف النظري دون محاولة خروج نتاجهما أو ما يمكن أن نسميه" اختبار التكوين " خارج أسوار الجامعة لتتحسس حاجات محيطها والإسهام في حل مشاكله بكافة أوجهه وحشد الطاقات الفكرية والفنية المتاحة لها[1].

لذا فإن مفهوم الخدمة العامة يغيب أو قد يكون غير واضح عند البعض من الهيكل الإداري أو هيئة التدريس في الجامعة، حيث يتـ ـور أن غاية دور الجامعة البحث عن المعرفة وتلقينها دون توظيف تلك المعرفة وتسخيرها لـ ـالح المجتمع بفك مشاكله والسعي لتحقيق تنمية متكاملة بتأهيل الأفراد ستغلال ـاقتهم وجهودهم وتوجيهها على النحو ا قق للتطور كون–ربما أن – الخدمة العامة هي ا لك لجودة التكوين، ولما كانت هذه الأهداف والوظائف تتحدد أساسا من فلسفة الجامعة وسياستها فإن فلسفة الجامعة هي أيضا تتبع فلسفة محيطها أي فلسفة المجتمع ذاته، ولذا سنتطرق للحديث عن رسالة الجامعة من خلال فلسفتها هي ثم من خلال رؤية المجتمع، والداعي في نظرنا هو أن مفهوم التكوين أ ـلا هو فلسفة متبناة قبل أن يكون خطة متّبعة .

01– التكوين من خلال فلسفة الجامعة: فلسفة الجامعة يفترض كما سبق ان تتّبع فلسفة مجتمعها، وعليه بتبنيها فلسفة تتحدد وفقها سياسات التعليم فيها ومبادئه وتضع قواعد تنظيمه وإدارته ثم أهدافه،وإذ تسهم مخرجات الجامعة كمثال في الدول المتحضرة في تطوير مجتمعاتها والرقى بمستواها الحضاري، إسهاما مباشرا بحـ ـيلة التكوين لسبب أنها تستجيب أساسا حتياجات محيطها ولكون هذا ا يط كان المهد لنشأتها وقيامها وتشكّلها، فتعرفت الجامعة عن مشاكله ثم تحسستها دراسة لتتبنى حلو له نتاجا ثم الإجابة عما تطرحه هذه المجتمعات من أسئلة، ويتطور دورها بعد ذلك إلى نقطة مرجعية هامة وهي نقد الذات في إ ـار عملتي التقييم والتقويم والحرص على ا ستمرار بكل موضوعية لئلا يـ ـبغ المجتمع بطبائع ا فتخار المزيف وأ يعتاد ا حتفال الشكلي بإنجازات موهومة ثم لئلا يحيد مسار نهضتها عما هو مسطر سلفا من سياسات، أو ما نسميه بـ :"مراجعة التكوين".

والتزام الجامعة بفلسفتها واحترامها لها أكسبها قوة لمسار الدفع الحضاري لمجتمعاتها كما هو حا ـل في الغرب أما وضع الدول المتخلفة وبالخـ ـوص الو ني العربي فإن أول ملاحظة رئيسية نلخـ ـها، أن النظام الأكاديمي للتعليم العالي والدراسات الجامعية تشكل في نضرنا لدى هذه الدول كظاهرة مستورد ة عندما تعرفت على الغرب وهي في أدنى مراتب التحضر فشكلت الجامعة أسلوب دخيلا خضع لقاعدة تقليد المغلوب للغالب مثلها مثل باقي مؤسسات الدولة، النظم الإدارية، أساليب التسيير...ا لخ فلم تكن الجامعة تعبّر عن حاجة أ ـيلة في المجتمع ولم تخلق من رحم معاناته كما كانت في السابق كما لم تبتكر لتفك مشاكله الحقيقية فلم تكن سوى موروث استعماري أو أسلوب مستورد الهيكل، المناهج، ـرق التدريس، أسلوب إدارته وأحيانا المقررات ولغة التدريس حتى، ولم يكن في ذلك مثبط أو خلل والحال الأمر الواقع، لكن أن تخضع لتطوير أو مراجعة تضفى عليها لمسات نوعية ذاتية يـ ـبغ فيها التكوين في الجامعة بفلسفة المجتمع – وخـ ـو ـيته – فهو أمر محذور له تبعاته السلبية على عطاء الجامعة نفسها او ونوعية المخرج وخدمة محيطها–

فالأمر بقي على حاله عموما*.

وبالطبع أمام ظاهرة مستوردة*ب ... وغير معدة وفق فلسفة مجتمعها لم يكن التكوين فيها ليتبنى حلا لإشكا ت ا يط حيث لم تكن قد انبثقت من ميم احتياجات المجتمع، "لأن البلد الذي ليس في حوزته أسئلة فهو ليس بالطبع في دد إعداد أجوبة لأية تساؤ ت"[2]، وا عتقاد بأن نقل العلوم وتقنياتها أمر مجدي وسهل يخضع لمبدأ التبادل الحر للمعرفة دون النظر إلى تبعاته العكسية خطأ رف لأنه بذلك يف ل بين الجامعة وبين توجهات التكوين الفلسفية وا جتماعية وا قت ادية والثقافية مما يجعله غريبا عن النسق التنموي العام وخارج عنه وتكون الحاجة إليه ضعيفة ودوره في خدمة ا يط أضعف فالإشكال يكمن في تحديد فلسفة تكوين تحدد سياسات نشاط الجامعة التي من أدوارها الحالية إيجاد نوعية تكوين مؤهلة للتكييف ا يجابي مع متغيرات الواقع وكافة جوانب المنظومة الدولية ونتساءل كيف يمكن للتكوين في الجامعة أن يستلهم رسالته من مجتمعنا.

02– رسالية التكوين من خلال رؤى مجتمعاتنا: يعترضنا سؤال مفاده : هل العلم هو مح لة العقل البشري أيا كان توجهه أو انتماؤه، أم أن الجامعة باعتبارها معقلا للفكر الإنساني في أرفع مستوياته وم در ا ستثمار وتنمية القدرات البشرية هي حتما لن تتجرد عن رؤية ترسم سياستها وتحدد مسارها؟

يجيب البعض بأن المعرفة هي مح لة للتأثير المتبادل بين الموضوع والذات المدركة وبذلك تتأثر برؤية الإنسان المالك لها فيتحدد بذلك موقع العلم والنطاق الذي يوظفه فيه الإنسان تبعا لرؤيته ولما كانت الجامعة مو ن هذا العلم فإن التكوين فيها سيختلف ويتباين على أساسا متغيرات الرؤية تلك[3] فما رؤى مجتمعاتنا التي هي في الأساس رسالة تكوين جامعتها؟

قد ن طلح على مسمى الرؤية باعتباره : الوعي، الطموح، التحدي، الجدية، الهدف، روح المسؤولية، الثقة ..... علّها بعض خ ائص الرؤية وليست كلها فوفقا لهذا المعنى نتساءل ولنكن موضوعيين و رحاء مع أنفسنا هل نشكو فقر المورد المالي أو المورد البشري للوفاء بالحد الكافي من معيار التكوين الفعال المسهم في دفع المسار التنموي الذي يجعلنا في مستوى التحدي أم نحن في الأساس نفتقد الرؤية ؟ الواقع يحكم .... *ج

هل التنمية التي يتحقق بها رفاه المجتمع وتلبى بها احتياجاته وتستوعب قضاياه تغني فيها الثروة المادية فحسب ... الواقع يكذب ... *د ، لندرك ونؤمن تكوينا يواجه تحديات الع ر يجب أن نعلم أن تنامي الثروة المادية يتماشى وتنمية الثروة البشرية ويعدّ الجامعيون زبدة المجتمع وتعد الجامعة مزارع للفكر البشري ومركز التكوين له فالعلاقة حتما ا رادية بين تنمية النخبة وتنمية البلاد ويكلفنا إغفال هذا الأمر أن نقع أسرى هيمنة من نوع جديد باحتياجاتنا اللامتناهي ستيراد الخبرة وارتباط مشاريعنا الإنمائية (اقت ادية، ثقافية، اجتماعية..) لمنظّرين ومنفّذين لة لهم بقضايا مجتمعنا وخ ائ ه التاريخية والسياسية[4] نقول أنه كي يكون للتكوين في جامعتنا فلسفة ورسالة، يجب أن تتوثق ال ّلة بين رؤية المجتمع وفلسفته العامة وبين فلسفة الجامعة وخط سياستها وإذا أردنا أن تتشكل رسالة هادفة للجامعة بد أن يسلمها النسق العام من رؤية المجتمع وحتى ي ل المجتمع إلى

هذا الحد من الوعي يجب أن يأخذ العلم والجهود البحثية شكل الثقافة العامة فإن تأسيس ثقافة كهذه تحتاج إلى إرادة و نية قاعدية تنوء بحملها القيادة أو قد تعجز...

فالجامعة مؤسسة تكوينية ليست بمعزل عن بيئتها ا جتماعية وا قت ادية فالمجتمع هو مهد الجامعة تستلهم منه قيمها وأهدافها وإ اراتها وهياكلها مما يجعل البعض يـ ف محيطها أنه من يمنحها شهادة ميلاد ويحدد لها المعنى والغاية والوسيلة وبذلك بتباين دور التكوين في الجامعة بتباين فترة نشؤها ونشا ها وتفاعل ا يط معها ثم مقدار الأهمية المو ة لها بدرجة أولى فإن لم نعمل على تقريب وربط الجامعة بمحيطها – حيث هي في الأساس لم تنبثق من ميم احتياجات مجتمعنا كما سلف ولكونها تقليد مقتبس عن تجربة الغير تتناسب وقضاياه ثم لم يطرأ عليها أي تعديل و إثراء– فإن أي آ رة بيعية لن تتأسس بين جامعتنا ومجتمعنا[5]، وبذلك تعجز مسبقا على أن تلبّي موحاته حيث هي تفتقد لرسالة تتبناها أ لا[*] تعرفها أو وتتعشقها ثانيا وتمكن لها وبأي تكلفة ثالثا يسأل القائمون ورائها عن مقابل أجر و ما يتوفر من امتيازات و يقنعون بالأمر الواقع.

وفي سبيل تحقيق تنمية متكاملة والتفلت من أي هيمنة استغلت دول – تفتقد إلى الثروة وموارد الطاقة – الـ لة الوثيقة بين المنظومة التعليمية والنهضة ا قت ادية فأ بحت بعد أن كانت متخلفة في ميدان العلوم والآداب والتقنية أ بحت تتملك فائضا من الخبرة تستثمره خارج حدودها[6].

03– التكوين في الجامعة الجزائرية واقع أمام أي أفق؟

فيما نشهده من واقع نجد أن التكوين تأثر بجملة معطيات عكست بـ ورة أو بأخرى أداء الجامعة وتأثير هذا الأداء في قدرة الطالب المتخرج على خدمة ا يط ومدى فاعلية تكوينه في الإسهام في دفع الحركة التنموية ويمكن اجمال هذه المعطيات في ثلاث مستويات على أنه يعني أن تحليلنا هذا حكما سلبيا على أداءات الجامعة بل لنا الفخر كله فيما يحوزه لاب الجامعة الجزائرية من تفوق في المسابقات العالمية والمراتب الأولى التي يحـ لونها في التـ نيف الدولي، وهو شهادة إثبات أمام الكل على أن تكوين الجامعة الجزائرية ليس عاجزا على المنافسة بل هو قادر على أن يحوز مراتب السبق، فما نتطرق له هو دعوة ستدراك نقاط الضعف للإسهام في تطوير نوعي للتكوين لأن ستر الداء يورث إ ورم الهلاك

أ– على مستوى التنظيم ا داري: بنظرة استقرائية نجد أن الهيكل الإداري والتنظيمي للجامعة الجزائرية لم يجد غداة ا ستقلال تقاليد تسيير و نية عدا نمط عتيق درج وفقا لنظام تلفيقي ممته الإدارة الإستدمارية لخدمة نخبة من المستو نين القلة، فلم يكن لدى هذا الهيكل قاعدة إدارية متخـ ـة في شؤون التسيير الجامعي، لكن الإشكال لم يتمحور حول ندرة الخبرة أو قلتها بقدر ما كان في وجوب ا جتهاد وخلق نمط محكم بتكوين الإ ار الإداري المتخـ ص وبناء هيكل إداري مرن فالمفارقة هي في استقرار الحل الذي هو في الأ ل حل اضطراري ومؤقت وأخذه منحنى الثبات.

ب– على مستوى التسيير: لما كانت بيعة العمل ا داري تنزع الى التجمّد والنّمطية في ا داء فإنها تهمش بذلك دور العملية التعليمية التربوية، فاعتماد أسلوب الرتابة والروتين من شأنهما

أن يقضيا على بوادر ا بتكار ويئدا روح ا بداع فتتسع دائرة القطيعة بين موحات المجتمع وبين واقعه فما كان قيدا ظرفيا تمادى لي بح نظاما مطردا، فكيف النهوض والواقع أمرّ حيث أنه " يجب ا عتراف بأن الجامعة تعرضت للغزو من رف ا نحرافات ا جتماعية فوجدت ا سوبية وا ابات وحتى الرشوة منفذا إلى سير منظومة التعليم العالي وامتدت إلى التعيين في المنا ب وتسجيل الطلبة مخالفة للمقاييس، وو لت حتى إلى منح الشهادات مما نتج عنده تفاقم أسباب الإحباط والإستقالة المعنوية لدى الكثير ممن رفضوا الإن ياع لهذه الإنز قات "[7]. وإن سجل البعض رفضه لكفاحه دون تردي وتكريس الرداءة بعدم اليأس ا ستسلام والقناعة بسياسة الأمر واقع أو ا نسحاب ،لكن لم تكن لتشكل كفة مكافئة لإحداث التوازن...

ج– على مستوى المناهج وتفاعلها مع ا يط: إن جامعاتنا (في الو ن العربي عموما) بإتباعها النموذج الغربي الأوروبي والأمريكي تعد امتدادات بيعية للتقاليد الجامعية الغربية وتنف ل بذلك عن الواقع والتراث الو ني، فهي تتفاعل مع هذا النموذج أكثر من تفاعلها مع بعضها البعض علميا وثقافيا وقانونيا والأولى أن تستفيد من الأ ر النظرية الغربية وتنمي هذه ا ستفادة بما يتكيف مع معطيات واقعها ا جتماعي وا قت ادي وما يتوافق مع خ و ياتها الحضارية[8].

04– أبعاد بد منها لتكوين فعّال: باستطاعة جامعتنا بل من واجبها الحتمي تكوين جملة حساسيات لدى خريجيها ي بغ بها التكوين لنقول بأنها على خطها الرسالي ونوجزها في:البعد التاريخي، الطبيعة البشرية، التكيف ا يجابي، إدراك التحدي المطروح[9] .

1–البعد التاريخي: يرورة المجتمع الدولي بأكمله ليست وليدة ال دفة و ا عتباط بل أن كل المتغيرات على المستوى ا قليمي أو الدولي لها خلفياتها التاريخية وبقدر استيعاب التاريخ يمكن استيعاب الواقع بل وحتى التأثير في المستقبل لأن جذور الواقع النفسي وا جتماعي والتربوي والسياسي هي ضارب في عمق الزمن أيضا وقد سبق الحديث عن هذا البعد.

2–الطبيعة البشرية: حيث يغفل أن ا حتكاك مفروض على الجميع إن فرادى أو كيانات وما يترتب على هذا ا حتكاك من فعل التأثير والتأثر فتذكية الحس والتب ر عامل تنموي ودافع للملكات التي يعتمد عليها التكوين .

3– التكيف الإيجابي: وهو مح لة للعن رين السابقين بمعنى العمل على تعزيز نقاط القوة بت يد كل إيجابيات الغير واستدراك نقاط الضعف عندنا بتقييم موضوعي خشية أن ي بغ الطالب بالسلبي.

4–إدراك التحدي المطروح : في علاقة التكوين بالتحديات ا جتماعية وا قت ادية يكفي أن نضرب بذلك مثلا وهو ما تستعد له الجزائر من ا نضمام لمنظمة التجارة العالمية فهل لدى الشرائح الطلابية ادارك واسع وعميق لآثار هذا ا نضمام وما الآليات لتفادي خسائر محتملة منه أم ان الكثير يترقب تعظيم المكاسب[10].

ثانيا = إسهام الأستاذ في العملية التكوينية:

المرتكز الثاني الذي ترتكز عليه فاعلية التكوين: الأستاذ، لكونه أو محور عملية التغيير التي

تقع على مدخلات الجامعة لتـ ـير بعدها مخرجات ذات ـ ـفات إيجابية، وثانيا اعتماد الوظيفة الثانية للجامعة (البحث العلمي) عليه أيضا –حيث يقوم بواجبه في البحث والدراسات المتخـ ـة العلمية التي تمت بـ ـلة مباشرة أو غير مباشرة للمجا ت الحياتية ـيطه –هذا عن مهامه، أما عن رسالته فالأمر أعمق يتولى فيها زرع العلم وتبليغ المعرفة بموضوعية و ـدق بدءاً بتطوير نفسه وتجديد معارفه وتنمية مهاراته وأدآءآته، ويستهدف بنشا ـه البحث وا ستكشاف، يجعل من مشاركاته العلمية في المؤتمرات انفتاحا على موا ـن المعرفة واحتكاكا بأهلها من أجل نضج أبلغ، ويستهدف بإ ـداراته الفكرية ـقلا لملكاته والرقي بمستواه المعرفي والتمكن أكثر من تخـ ـه ثم بدرجة ثالثة مسؤوليته عن جموع العقول البشرية المستأمن على تنميتها ليتحرر من التقليد.

01– من عوامل القـ ـور: يقر الخطاب الرسمي فعلا عن "انعدام سياسة تعليمية جامعية واضحة المعالم تتمفـ ـل وتنسجم ضمن نسق منظومة الدولة تراعى فيها الشروط العالمية للكفاءة وتطبق فيها ـرامة المعايير البيداغوجية بحكمة ـ سيما فيما يتعلق بالإنجازات العلمية والبحوث والمذكرات والرسائل الجامعية والترقية والمهنية وغير ذلك"[11]، فالمتتبع للخطاب الرسمي الو ـني والمجهود الحكومي يجدهما يعملان على إبلاء العناية ودعم هذا القطاع برفع نسبة ميزانية البحث العلمي من ناتج الدخل القومي ثم توفير جملة امتيازات لإ ـارات القطاع رغم تزايد عدد الشغالين للمقاعد البيداغوجية في الجامعة والتي فاق عدد الطلبة سنة **2008** مليون منتسب والنتيجة أو ا ـلة هي ثبات في مستوى الأداء مما دفع رئيس الجمهورية إلى ان يـ ـف في نفس الخطاب "...إضافة إلى غياب التبـ ـر ووازع الضمير الخلقي وانعدام الحس بما يجري من تحو ت في عالم المعرفة والبحث العلمي على الـ ـعيد الدولي مما يؤدي هذا الظرف بالكثير من ذوي الكفاءة إلى ا غتراب لأنهم أ ـبحوا ـ يجدون في الجامعة الجزائرية الإمكانيات والتشجيع لتحقيق رسالتهم المتمثلة في تعميق معارفهم باستمرار وتو ـيل الجديد من المعارف"[12].

إن النظر للتدريس كمهنة وظيفية وحسب جناية لحاضر البلاد ووئد لمـ ـائر أجيال قادمة فالأ ـل أن يتـ ـدى لهذه المهمة والدور من خلـ ـت نواياه للإ ـلاح والتغيير وتجرد من مطالب الأجور المكافأة...، فخلال العقدين السالفين كانت رواتب قطاع التعليم العالي تتردى بينما قطاعات أخرى ترتفع لتغري من يتـ ـيدها ورضي بذلك القليل من كان له إيمان بواجب التبليغ وقناعة بأن تكلفة النهوض ـ يطلب فيها الأجر المسبق بل قد ينفق مما عنده لأجل أ ـ تتوقف المسيرة.

لماذا ـ تفهم وظيفة الأستاذ بأبعد غايتها؟ لماذا يحـ ـر هذا الدور – في أحسن الأحوال– في حلقة: التلقين – الحفظ – ا سترجاع؟ إن هدف التكوين هو استهداف تغيير السلوك الإنساني والرقي به لمستوى ـ تامّن به نتيجة إيجابية امام تحدّي التّمركز الدولي ،حيث يجب أن تعبّر عملية التكوين عن علاقة إنسانية هادفة ومقـ ـودة تتضمن اختيار الأهداف واختيار الإستراتجيات لتحقيق تلك الأهداف لكي تترجم إلى سلوك وأعمال ثم تقويم نجاح هذا السلوك في تحقيق غايات محيطه العامة[13]. والتي عادة ما تكون خدمة لرسالة الجامعة باعتبارها مركز القيادة الفكرية والمعنوية لمجتمعها والقيّمة على تطويره.

ومن مكامن الخلل ح رنا لوظيفة التعليم الجامعي بمجرد تقديم المعلومات والمفاهيم والقواعد (وهي مهام الأستاذ) لكن من مهامها الأساسية تشكيل ذهنية مرنة قادرة على جمع المعلومات من مضانها وعلى إعمال العقل فيها من خلال عمليات التحليل والت نيف والنقد والمقارنة والتركيب والت ميم وحل المتناقضات وت ور البدائل والتنظيم الجديد المبدع[14].

وعليه فإن ا رتقاء بمستوى الخريج أو الإ ار جانب من هذه المسؤولية قد تلقى على الأستاذ الجاد في مهامه من له عدّة من ضمير خلقي مهني، فالأستاذ من موقع كونه باحثا وم ـدرا للمعلومة يدرك ببحثه تماما شراسة المنافسة على عيدها الإقليمي والدولي ولعل ذلك يلمسه من مشاركاته العلمية الدولية أو ترب اته بالخارج فهو أول من يعي علاقة التنمية ا قت ادية بالنهضة العلمية فالمعادلة هذه معيارية قياسية.

إن الرائد يكذب قومه ورواد المجتمع بدرجة أولى هم مفكروه ومثقفوه وأساتذته الجامعيين يستشرفون بما لهم من احتكاك وتدبر موقع مجتمعاتهم من المنظومة الدولية على كافة الأ عدة، وهو على وعي بمدى تأثر المستقبل بمتغيرات الحاضر ،فإن لم يكن هو الدافع فمن سيكون؟

كما يجب التفريق بين النمو الطبيعي للأستاذ حيث تولّد كل مهنة ترقي خبرة من يباشرها وبين التنمية المق ودة لمستوى الأستاذ فعليه أن يلعب دور النقد أيضا حيث الفكرة تزيح الفكرة في إ ار إنتاج معرفة جديدة وإ انضبط بقاعدة: المعرفة التي تنمو تتأسن – بحكم بيعته المزدوجة حيث ينقل معارف الدراسات السابقة وينتج معرفة جديدة بإثراء وتعليم أو حتى نقض ما سبق حيث الحجة تدمغ الحجة ليمنح أداءاته نوعا من التجديد وقد كان لخريجي الجامعات والمثقفين دورا أساسيا في قيام المدنية الحديثة ولم يمنعهم إسهامهم بأن يعدوا أنضج ألوان النقد للمدنية الحديثة التي كانت دعامة تشييدها .

02– مقترحات: ويقترح البعض لإيجاد نخبة أساتذة لهم هذه السمة جملة مقترحات هي:[15]

أ– اختيار هيئة التدريس من لبة الجامعة النابغين الذين يمتلكون جملة قدرات وملكات تتناسب ومهنة التدريس والتركيز على تغطية جانب النقص قبل توليه المهنة.

ب– إعادة النظر في شروط ا نخراط في مهنة التدريس باعتماد جملة موا فات من شأنها ضمان الحد الأدنى من الكفاءة لدى ا ستاذ الجامعي.

ج– إعداد برامج تدريبية دورية للأستاذ حول ما يتعلق بالجانب البيداغوجي : رق التدريس، المناهج، رق التقويم، والجانب المعرفي (في دراسة مسحية في بريطانيا تبين أن **39** جامعة في بريطانيا من جامعاتها **45** كانت تقدم منذ عام **1981** البرامج التدريبية لأساتذتها بشكل أو بآخر).

د– العمل على إشراك الطالب في تقويم أداء الأستاذ دون عقدة: وبمناسبة الحديث عن الطالب.

03– النظري والتطبيقي مسار غير متكافئ: إشكال آخر يطرح وهو لماذا تطغى على أدآءآت جامعاتنا ونتائج بحوث أساتذتها ال بغة النظرية وبالتالي تبقى في عمومها في معزل عن واقع

محيطها وتطلعات مجتمعها؟

إذا ا طلحنا ابتداء أن مراحل النظام العلمي التقليدي هي تبعا : مرحلة العلم ا ساسي (النظري) – مرحلة البحث التطبيقي – مرحلة التطوير ثم مرحلة ا نتاج كلها مراحل هامة يخلق من التوا ل بينها بحث علمي ذو فائدة وإنتاج ،فإن الخلل في رسالة جامعتنا أن آ رة التوا ل مقطوعة لعدة أسباب منها :

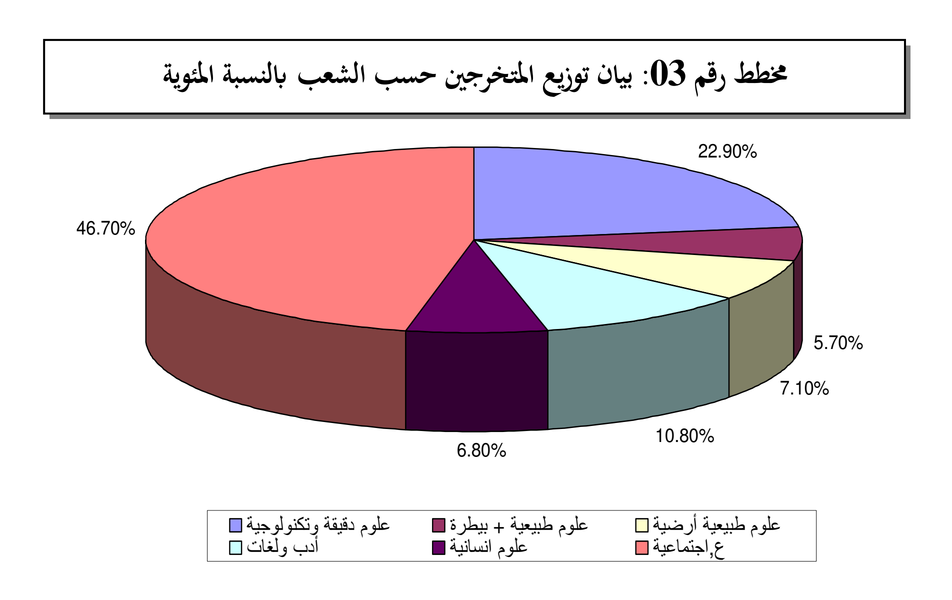
- فقد التنسيق بين المؤسسات ذات ال بغة التطبيقية والمراكز البحثية .
- عدم وجود تطبيقات ميدانية للبحوث الأساسية النظرية .

إذا علمنا ان عدد المتخرجين أي حا ل التكوين في الجامعة يتزايد بمعدل سنوي نسبته 7.2% في جميع الشعب(انظر المخطط رقم 02) ونسبة البطالة تطرح تحد آخر حيث بلغت في متوسط 35% إلى 28% فنتساءل ما مدى ارتباط مخرجات الجامعة بسوق العمل عندنا

الم در: الحولية ا ح ائية رقم 32 لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي،

- إشكال المعلومة : ليس ما يواجه الباحث فقط فقده للمعلومة مع أنها تعد نواة البحث

مخطط رقم 03: بيان توزيع المتخرجين حسب الشعب بالنسبة المئوية



لكن إذا تجاوزنا مسألة اقتدار الباحث واكتسابه لمنهج علمي وآلية بحث متطورة فإنما يقف عقبة أن ندرى بدرجة أولى لغياب التنسيق بين المؤسسات والأجهزة الإدارية بعضها ببعض

- مشكلة أكبر وهو عدم حة البيانات المقدمة ونقص دقتها وضبطها.

ثالثا = دور الحركة الطلابية في دعم مستوى التكوين:

ليس الطالب العن ر الفاعل في العلمية التكوينية فحسب بل هو محك النجاح في العملية

أ ﻼ أو فشلها حيث ترتبط به آمال مجتمعه و ﻤوحاته وتتوقف على فاعليته ودرجة وفائه، وعليه نسأل هل حقا أن الإ ﺎر الجامعي المتخرج هو في مستوى الدور المنوط به أو المهمة المرجوة منه؟ ونفضل الإجابة بعد أن نسجل نقطة نراها هامة.

01– وقفة مع الذكرى: في بلد كبلدنا ينبغي الحذر من وقوع القطيعة بين جيلين حيث كان بد من تذكية الروح التي سجلت مفاخر القرن يقف بتذكرها كل فرد على تجديد العهد المسئول عنه وتقدير حجم الرسالة المكلف بها ،ونخص بالذكر من جيل الخلف ﻔوة المتعلمين من أبناء المجتمع (الجامعيون) وأما الجيل الذي يحذر وقوع القطيعة معه جيل أبائنا مضرب المثل لكل غيور أ يل العرق حر المذهب يعي بذكرى الثورة إمكانية السيادة على حاضره ومستقبله لأن الجيل السابق استطاع أن يحدد ﻣ ﻴﺮه ويسود على مقدراته ثم يحفظها للأجيال الأخرى من بعده ينبغي الحذر من أن تكون الذكرى مناسبات احتفالية شكلية.

يتساءل عنا غيرنا في حيرة وبالنظر لتاريخ البلد هل هؤ ء هم خلف أولئك؟

بالرغم من التمييز ا ستعماري وتضييق الخناق تمكن الو ﻨيون الأحرار أن يجدوا لهم موقعا وبتميز ضمن قائمة النخبة المستو ﻨة حين استدعت رسالتهم التفوق ولما استدعت الرسالة التضحية جادوا ولم يبخلوا، فأين الخلل؟

المناهج، ا عتماد المالي، المنظومات التربوية في ا ﻮارها الأولى... مهما يكن السبب في ظاهره نقول بأنه بغياب أهداف عقلانية وواضحة التخطيط ا ﻜم الموضوعي ثم تقويم تابع لأي نشاط فإنه حتما ﻳ ﻌب أن تتشكل القاعدة اﻟ ﺤيحة لبناء رسالة هادفة أو على الأقل كي نبالغ دورا إيجابيا للجامعة ومخرجاتها في تنمية محيطها وفي إنتاج تكوين عالي يضمن تنمية ا ﻴط لأن اعتماد عفوية المسار وا رتجالية في اتخاذ القرارات تكلف هدر الوقت واستنزاف الطاقة – وحتى وان خلص كما هو الآن من مخرجات الجامعة من يعول عليه لكن بكفاح فردي أو مبادرة بعض هيئات التدريس أو بعض الأو ﻴاء على القطاع المخلـ ﻴن من يحركه ضميره الخلقي وتدفعه روح المسؤولية والأمانة – لن يكون هذا كافيا أو مغنيا عن خلق الرابطة الطبيعية بين عطاء الخريج ونماء محيطه بل حتما لن تستوعب جموع هؤ ء الخرجين إ نسيج وشبكة العولمة، هذا إن لم تتخطفه وهو عندنا في ﻒ التدريب والإعداد وأسفا أن واقع حال وقد تأثرنا منه إلى حد نفقد خلا ﺔ رأسمالنا البشري المعرفي والذي هو ﻔوة العقول المفكرة وتبلغ خطورة هذه الظاهرة حدا أن يعلنها الخطاب الرسمي ﺮاحة بأنه من غير العدل أن نزرع نحن ليحـ ﺪ غيرنا[16] وبالمقابل فكلا ﺮفي القـ ﺪ ذميم لأنه حاجة للبلد أيضا بأشجار تنبت الثمر المعطوب ويفترض أن يتولى تذكية هذه الروح الو ﻨية الطالب نفسه في إ ﺎر نشا ﻪ النقابي وعمله المعوي وإن كانت لنا حوله بعض الملاحظات نوجزها في:

02– التنظيمات الطلابية، محاذير: قد يعترض على هذا الكلام من يحتج أن التجربة النقابية الطلابية في الجامعة الجزائرية جد حديثة وعذرنا أن الرسالي ينضجه فكره وتأ ﺮه الممارسة قبل أن ينضجه الوقت. في الأ ﻞ أن لهذه التنظيمات في التكوين دوران أساسيان داخلي وخارجي هما:

الدور الداخلي: ويتمثل في إعداد الطالب لأن يكون إ ﺎرا في الغد بإثراء ر ﻴده الثقافي

والفكري وتملكه عقلية تفاعل مع ما حوله نحو الأحسن بذهنية حرة غير منح ـرة في إ ـار نشا ـات جافة محدودة الجدوى أو نشا ـات عبثية تبرأ الخلق – ويمتلك عقلية تؤمن إ بالتحدي بالإضافة إلى أن محـ ـلة ا نتماء إلى هذه التنظيمات هي من أهم العوامل المساعدة على التفوق في الدراسة حيث نشا ـاتها بأكملها حتى الترفيه العقلاني هو تنمية للملكات وحثها على تولي ـدارة كل النجاحات حيث شعارها "التفوق شهادة إنتماء".

وهي تتعهد الطالب أثناء حياته الجامعية بمشاركة نوعية في الحياة الطلابية والمدنية أيضا بفعل تشكل مجموع النوادي العلمية والرياضية والثقافية ومشاركته فيها فهي محضن تدريب له على تحمل المسؤولية والمشاركة في رسم الخطط الجماعية والحوار وجدية التغيير والأهم اتخاذ القرار المسئول وناتج هذا التفاعل أن تتكون لديه شبكة ات ـا ـت مع زملائه من إ ـارات المجتمع المدني وتكسبه لغة عمل مشتركة بينهم لتفعيل الدور الريادي المرجو منه لتتكامل شخـ ـيته في جانبها الثقافي الأكاديمي ا جتماعي النفسي الخلقي تكاملا بناءا إيجابيا قبيل التخرج وبعده في مسار الإعداد النوعي للمتخرج.

الدور الخارجي: وهو الإسهام في تحقيق السياسة العامة للبلاد لأن دورها باخت ـار تقييم أو تعديل مشروع الأمة الحضاري والعمل على تجسيده، ولدى غيرنا في ذلك أمثلة كثر، غير أن تنظيماتنا الطلابية يكاد يكون لها إسهام إيجابي في هذا الدور الأخير وهي على الأقل لم تكن لتطرح مسألة قـ ـور التكوين في الجامعة أو محاولة إرساء لبنة إ ـلاحية على مستواها الداخلي بالتحسس أو المطالبة، الواقع أنها أ ـبحت مزادا في سوق المرابين برسالة الجامعة ونلحظ استغلا بل متاجرة لحسابات خا ـة وضيقة لبعض هذه التنظيمات ولعل ظهور الكثير منها والطفيلية أحيانا دليل على فساد اعتبارات استحداثها بل أو وأخيرا تدني الحس الطلابي الذي سمح لغيره أن يوقعه موقع البيدق... أليس يضيرنا أن تبلغ ظاهرة العنف الجامعي حد إزهاق الأرواح خلال السنتين الماضيتين لأجل أسباب نخجل ذكرها في وقت كان الأولى أن ينهض المجتمع الطلابي ليقّوّم مشروع أمة.

هذا على المستوى الجماعي أما على المستوى الفردي فالتحدي أ ـعب وبخا ـة على ـعيد سوق العمل كونه المجال التطبيقي الرحب ومحك ا ختبار لكفاءة الخريج وجودة التكوين .

03– سوق العمل = خلفيات ومخلفات: لنضع أنفسنا أمام تحدي آخر تواجهه بعض الدول ماذا لو واجهتنا تجربة الجامعة الأمريكية كما في لبنان ومـ ـر مثلا كيف يمكن مبدئيا تحديد مـ ـير الغالبية من خريجي جامعتنا الو ـنية والثابت أن هذه الجامعة – الجامعة الأمريكية – تتعاقد مع خريجيها المؤسسات الـ ـناعية والفنية قبل تخرجهم عوضا عن ـلاب الجامعة الو ـنية وهو تـ ـرف مبرر حيث يكتسب ـلاب تلك الجامعة جملة مهارات وفنيات علمية بعد استيفائهم لحض معرفي منهجي مدروس ومخطط له بعناية، درس مسبقا احتياجات سوق العمل وكيف مناهج التدريس وفقا للخدمات العامة والخا ـة بأكثر كفاءة وأبلغ جدوى وله علم مسبق بالميزات التنافسية لكل مؤسسات التنمية ا قتـ ـادية حيث أ ـبحت هذه الجامعة الأمريكية "مؤسسة تسير بغرض النجاعة

الموجهة نحو التكيّف الدائم مع الطلب ا جتماعي وا قت ادي"[17].

فالطالب أو يلتحق عن سابق توجيه، يتابع بعملية التقويم الحقيقية حيث تراعي في ت فية التسجيل ونتائج ا متحانات إ ما يثبته الطالب من جدية وقدرة على التحليل والتفاعل مع مقررات نظرية تطبيقية يدرب عليها الطالب ويسمح له بالنقاش وا عتراض بل وحتى ارتكاب الأخطاء حتى تتشكل لديه عقلية مرنة ديناميكية تؤهله للتعامل مع ما يستجد عليه في ميدان تدريبه أو عمله مبدعا أو مبتكرا دون الوقوف شاخ ا ينتظر فتوى أستاذه، إذا كان هذا الحال فما هي الخطة المستقبلية المعدة عتماد تكوين يمكن الطالب من تحمل مسؤولية المساهمة في برامج التنمية الشاملة هذا فضلا عن مسؤولية النهوض الحضاري وكسب مراتب في سباق المنافسة الدولية .

الوضع جد حرج ففي مرحلة التحول إلى اقت اد السوق العالمية وتراجع دور الدولة على مستوى ا قت اد والنواحي ا جتماعية وبتخليها عن سياسة التعيين ونزوعها لخ خ ة القطاع العام، وحيث تتجه سياسة الدولة إلى تشجيع ا ستثمار الأجنبي المباشر، علما أن المؤسسات ا ستثمارية تعتمد إ اليد العاملة الفنية ذات المهارة العالمية فهي حقا توفر منا ب عمل وفرص توظيف قد يفي مستوى التكوين لدينا بإفتكاك أسهم من العرض المعلن فيعجز خريجو جامعتنا عن شغل منا بها وتلبية هذه العروض ثم إن " استقطاب النابغين والمتميزين أحد سياسات الدول ال ناعية... وفي ذلك سر من أسرار تقدمهم بالإضافة إلى كونها نوايا مبطنة لدوافع استعمارية، وفي ذلك ما يدعو إلى إيلاء العناية بالنخبة بتوفير ظروف تكفل نماء قابليتهم ومراعاة حقوقهم ا نسانية "[18].

ثم قاعدة أخرى :إن الخريج ضعيف المستوى أو فاقد الكفاءة في سوق الجودة الشاملة سلعة غير مطابقة للموا فات[19].

04– من يتحمل المسؤولية؟

إن ضريبة التردي يدفعها الكل بأن نتأخر في م اف الحضارة ونمكن لهيمنة أكبر وتبعية استعبادية بالوجه الجديد للرق، هل نحمل المناهج الدراسية كل العبء أم أن الجهات الو ية هي المسئولة ؟ هب أن الإجابة كانت إيجابا سوف لن ينقذ الإ ار المتخرج موضوعية الإجابة أو عدم م داقيتها فإني أرى للطالب مسؤولية أكبر ينقذه من موقفه هذا اعتراف هذه الجهة أو تلك بالتق ير، تحدثنا عن تدني مستوى الحس الطلابي على أ عدته جميعا وأخطره انسحابه وتخليه عن تحمل مسؤولية تعليم نفسه،ليساءل نفسه كم مضى في المكتبة من ساعات ؟ ما القيمة العلمية لبحوثه المنجزة؟ لما كان لديه فائض وقت هل كلف نفسه اكتساب مهارة معينة، هل فكر في تطوير ذاته أو تنمية قدراته أم أن كل وقته ونظام حياته ومنهج عيشه خضع لنظام استنزاف الطاقة وإهدار الجهد؟ إننا جد بعيدين على أن ي بح لدينا منهج جماعي سائد يقوم على قبول الطالب فكرة تحمل المسؤولية وتعليم نفسه وتكوينها وتطويرها ونمائها في ضوء ال لّة بماضيه وفقهه للواقع أي ان يعرف ما له وما عليه ليستشرف المستقبل الذي يتموقع فيه و يؤ ر في منظومته إ الأقدر على ميدان التنافس والمؤهل فعلا لحمل الرسالة و أحد يتولى ذلك إ من ترشحه مواهبه العقلية والفكرية والنفسية

والخلقية لنيل هذه المطالب فما حض وما ن يب إ اراتنا منها قبل وبعد تخرجهم .

خاتمة:

ندعو لأن تتوفر لدينا بيئات علمية حقه لأنه ينبغي أن نت ارح بأنه تتوفر في أوساط جامعاتنا بيئات علمية إ ما ندر، فضلا على أن يتأسس لدينا قواعد وتقاليد بحثية تمنح المجهود الجامعي روح ال دق والتضحية والحساسية للحاجات ا جتماعية ثم ا ستجابة الإيجابية اتجاه التحديات العالمية[20] التي تواجه مجتمعاتنا للو ول إلى تكوين فعال فالبيئة العلمية هي التي ت نع وت قل شخ ية الباحث وتحدد الأ ر ا رتكازية لها كالدقة، الموضوعية، ال دق، استهداف المعرفة، الروح النقدية والأهم أخلاقيات التعلم والعطاء وكذا البحث وأدبياته ولمعرفة دور هذه البيئة يكفي أن تساءل ماذا نخسر بفقد هذه البيئة؟

بالنسبة للإ ار الجاد يسلم حاله للأمر الواقع مادام له هدف يتعشق به المعرفة والبحث عنها فهو ماض في لبه وإذا لم توفر له جامعاتنا مثل هذه البيئة فإن للدول ال ناعية إستراتيجية تعمل على استقطاب المتميزين والنابغين في أي تخ ص كان تحفظ لهم حقوقهم الإنسانية وتوفر لهم إغراءات تتفتق بها ملكاتهم وتفجر قدراتهم يرجع عائد النفع منها لهذه الدول، ففقد مثل هذه البيئات العلمية هو باخت ار دفع بع ارة الفكر وخلا ة العقول إلى الفرار فمن يخلف هؤ ء ؟

يمكن لفقد هذه الأدوات التي هي آليات التكنولوجيا الحديثة (الإدارة الرشيدة، المعلومات، القوى البشرية الواعية) أن نتكلم على الجودة في التكوين فبفعالية هذه الأدوات يمكننا استشراف موقعنا في المنظومة ا قت ادية السياسية، الثقافية وا جتماعية الدولية المستقبلية أمنافسون نحن أن نبقى عالة على غيرنا في الإنتاج المعرفي المادي والأدبي والمعنوي؟ .

الهوامش:

[1] عبد الله التل + مجموعة من الأساتذة، قواعد الدراسة في الجامعة بعة أولى / دار الفكر، عمان، **1997**، ص **567-568**.

[*] ولقد أقر ذلك راحة رئيس الجمهورية الجزائرية في خطابه بانعدام سياسة تعليمية جامعية واضحة المعالم تنسجم ضمن نسق منظومة الدولة ... خطاب **2000/07/08** .

[*ب] وإن كان لنا تراث علمي وفكري ثقافي إ أنه اعتمد أسلوبا خا ا به كان له أثر في رقي حضارتنا(إ أن إقفال باب الإجتهاد حد من)القدرة على ا بداع فاتسم واقع مجتمعاتنا ومؤسساته بالأتباع والتقليد مذ تعرفه على المدنية الحديثة بفعل التأثر وا نفعال .

[2] مُحَمَّد خاتمي، المجتمع المدني، مقاربات في دور المرأة والشباب، دار الفكر، دمشق، ص **120**.

[3] مُحَمَّد خاتمي، المرجع نفسه، ص **118**

[*ج] أغنى دول العالم بالثروة البا نية الدول المتخلفة ونسبة الشباب جد مرتفعة .

[*د] **1948** ألمانيا مفلسة االخزينة مخربة البنى التحتية ذمة مالية مدانة بأكثر من **30** مليار دو ر بمعاهدة استسلام وخضوع . بعد ن ف قرن أحد أعضاء الدول الثمانية الغنية في العالم .

[4] مُحَمَّد العربي ولد خليفة، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية ديوان المطبوعات الجامعية ص **177** .

[5] مُحَمَّد خاتمي، مرجع سابق، ص **120**

[*] بل على العكس تأثرت سلبا ولم تؤثر في واقع مجتمعها وهو ما رح به رئيس الجمهورية في قوله "لكن ما لم يمكن استساغته و هضمه بيسر هو انفعال الجامعة بهذا الواقع وتأثرها السلبي به وعدم إبداء مقاومة ومناعة ضد معضلته بالقدر الكافي، فتأثر سلبا بفساد الحكم وغدت مورد أداة التبرير نحرافات وسلوكه وأسلوبا لمسايرته وا قتداء به " خطاب **2000/07/08** .

[6] مُحَمَّد العربي ولد خليفة، مرجع سابق .

[7] خطاب رئيس الجمهورية الجزائرية، **2000/07/08**

[8] أبوبكر بوخريسة، الجامعة والبحث العلمي في الجزائر أو رحلة البحث عن النموذج المثالي، مجلة التوا ل، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، عدد **6**، جوان **2000**، ص **296**.

با ضافة إلى عامل ضعف الإعتمادات المالية المخ ة للبحث العلمي، حيث تقاس أولويات الدول في قطاعاتها الإستراتيجية بحجم ا نفاق عليها من ناتج دخلها القومي ولعل النسب المخ ة في الدول العربية مجتمعة لقطاع البحث العلمي نسب جد ضعيفة إذا ما قورنت بما تنفقه دول تتبنى إرادة حقيقية وجادة لخدمة محيطها وتطوير نفسها تنفق أمريكا **2.9** % من دخلها القومي على البحوث العلمية، اليابان **2.8**% الدول العربية مجتمعة **0.3** %، اليهود في فلسطين **3**% وهذا الفارق نتيجة عدم إدراك أهمية جانب البحث العلمي مما يوجب الترشيد والتوجيه له.

[9] عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص **232** ص **233**

[10] للا لاع أكثر انظر فعاليات الملتقى الو ني ا ول "العولمة وموقع الدول النامية منها " ا سبوع العلمي الو ني الثالث للجامعات جامعة الجزائر**23-24** افريل **2004** .

[11] خطاب رئيس الجمهورية **2000/07/08** .

[12] خطاب رئيس الجمهورية **2000/07/08** .

[13] حسن شحاتة، التعليم الجامعي والتقويم الجامعي بين النظرية والتطبيق، بعة أولى، مكتب الدار العربية للكتاب **2001**، ص **17** .

[14] المرجع نفسه، ص **22**.

[15] عبد الكريم بكار، مرجع سابق ص **241–245**.

[16] خطاب رئيس الجمهورية الجزائرية، أوت **2004**

[17] أبوبكر بوخريسة مرجع سابق ص **43** .

[18] محمّد خاتمي، مرجع سابق، ص **113**

[19] حسن شحاته، مرجع سابق، ص**43**

[20] عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص **281**